

حديث الرئيس العماد عون للمجموعة الناشطة

في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية

٢-٢-٢٠٠٢

أنا سعيد أن ألتقيكم اليوم وأن أخاطبكم، قضايا الساعة كثيرة وأعتقد أنكم تتابعونها في الإعلام، والأمور هذه المرة جدية وإن شاء الله توصلنا إلى تغيير في المعادلات الحاصلة حالياً، ويكون هذا التغيير إيجابياً للبنان.

لن أتكلم كثيراً عن الأحداث بقدر ما سأتكلم عن دوركم؛ تعرفون أنني حين كنت في بعثا توجّهت أكثر ما توجّهت إلى الشباب، وبعدها تركت بقي اهتمامي الأساسي مركزاً على الشباب، وفي المستقبل سيبقى الشباب في أولويات اهتماماتي.

لقد سبق وقلت لكم: "أنتم لبنان الآتي وهم لبنان الراحل"، وزدت "ويل" على ويلات جبران التسع وقلت: "الويل لأمة تضحى بشبابها من أجل شبيها"، وذلك لأنني أرى فيكم مستقبل لبنان، أرى فيكم أولادي وأحفادي. وفي المقابل عليكم أن تصغوا، وأن تحصنوا تجربتكم كي تكونوا مؤهلين لبناء وطن، فالوطن لا يبني بشخص ولا بعشرة، هو يبني بأجيال تحمل إرادة البناء، وهو بحاجة لكل أبنائه في كافة الميادين، وليس بحاجة فقط لوظائف، بل لمواطن صالح في كل القطاعات الخاصة والعامة، وكذلك في العائلة وفي كل حقول النشاط في المجتمع.

وحرينا كانت ضروساً خلال هذه المرحلة، وخاصة بعد عام ٩٠، لأن السياسيين الحاليين دون استثناء، وخاصة الذين يحسبون أنفسهم معارضين، يريدون تهميش الشباب، لا أتكلم عن الأعداء لأن وضعهم معروف وهم لا يريدون السماع بأحد (لا عتيق ولا جديد)، ولكن الذين يحسبون أنفسهم معارضين ويريدون متابعة نهجهم السياسي ونهجهم الحكمي في الخط الإقطاعي، يريدونكم على سجلات الانتخابات فقط، وأن يقوموا بحصر الإرث عليكم كما فعل أبائهم بأبائكم، العائلة الفلانية محسوبة على فلان والثانية على فلان...

لا يريدون لكم وضعاً شخصياً حراً، لا حرية معتقد ولا حرية ضمير كي تنتقوا من تريدون، ولا حتى كي تصبوا أنتم في مراكز معينة، فإذا كانوا يريدون حرمانكم من حرية الانتقاء فكيف سيسمحون لكم بحرية الوصول إلى مركز قيادي أو مركز مسؤول وتساهمون في بناء الوطن؟

حربنا التحريرية ستنتهي، وإن شاء الله ستنتهي هذا العام مع الظروف المستجدة، ولكن بعدها ستبدأ حربنا التحريرية، وهنا دوركم الأصعب والذي سيكون مع محيطكم ومع أهلكم وإخوتكم إذا كان لا يزال لديهم الخنوع للإقطاع السياسي أو للإقطاع الديني، لأن هذا الإقطاع لا يحترم حرية الفرد ولا حق الخيار، ويتعامل أهله معكم بحقارة، يحتقرونكم ويكذبون عليكم مواجهة، يغتصبون حقوقكم ويقولون أنهم دولة قانون، يحدثونكم عن الحرية ويضعونكم في السجون، يتحدثون عن الازدهار الاقتصادي والبلد مفلّس، نريد أن ننتهي من هذه الوقاحة في التعاطي، ومن عدم الاحترام.

لقد ذهلت من التصاريح الفورية لرئيس مجلس القضاء الأعلى ورئيس الجمهورية، والوزراء والمحققين بأن شارون قد قتل إيلي حبيقة، واضطرت أن أعطي تصاريح لإذاعات عالمية وقلت أن من يعرف من ارتكب الجريمة بعد دقائق من حصولها يكون إما هو الفاعل أو هو شريك فيها، كلامهم لأمسؤول وكله احتقار للرأي

العام لأنهم يقتلون فيكم الروح النقدية، وكثرة التكرار في الوسائل الإعلامية تجعل الناس يكررون دون تفكير، ونحن نريد أن نعرف من ارتكب الجرم وأين هي الأدلة؟

لا أريد أن أتوسّع في هذه القضية ولكني أذكرها فقط على سبيل المثال، خذوا الاقتصاد أيضاً فكم مرة وعدوكم بالربيع وكانت الضرائب والانهيارات تأتي بدلاً منه، واليوم مع ربيع لبنان الموعود جاءت ال TVA .

لقد أكّدت مراراً وتكراراً بأن الرغيف لا ينفصل عن الحرية، وأن وحدها الشعوب الحرة، فقط، لا تجوع، فالشعب مهما كان غنياً ولم يكن حراً فإنه سيجوع يوماً لأن موارده ستبُعث وتُنهب وتُرمى.

معركتنا إذن متواصلة، وهي معركة الحياة ضد الموت، فإذا لم يتمرد الإنسان على الأمر الواقع ينتهي، والتمرد ليس ضد الواقعية، فالواقعية تقضي علينا بفهم واقعنا، ولكن كوننا بشر ونتوق إلى الأفضل فإن هذه الواقعية تفرض علينا العمل للخروج من الواقع وليس القبول به.

لا أريد أن أكرر لكم أموراً سبق وكتبتها، وبالمناسبة أخبركم بأنني أوقفت الكتابة لأنني كتبت مسبقاً عن كل مواضيع الساعة، فما يحدث اليوم كتبت عنه منذ حوالي السنة في نشرة "الرغيف والحرية"، وموضوع حزب الله والإرهاب والخروج على الشرعية الدولية تحدّثت عنها قبل انسحاب إسرائيل بأشهر عدة عام ٩٩، وما يحصل الآن في العالم، وتصرف أميركا، تحدّثت عنه في النشرة ٢٢٩، فلقد نبهت عن أمور كثيرة في كتاباتي وفي أحاديثي التلفزيونية، وكل هذا لأننا نعرف جيداً ما نتحدّث عنه، كمثّل الطبيب الذي يعاين، يعاين الوضع ولديه القاعدة العلمية والمتابعة، يعرف ما هي الميكروبات، ويعرف العلاج.

وما أريد قوله اليوم هو ألا تعتقدوا أبداً أن نضالنا يتوقّف عند انتهاء المرحلة، على العكس، أمانا بعد الكثير من العيوب السياسية والاجتماعية ومن جميع الأنواع، وعلينا محاربتّها، وضمن المجموعة، ولا أعني المحاربة بالسيف والبارودة، ولكن بالتوعية وإفهام الناس وتثقيفهم.

اللبناني اليوم يعتقد أنه إله في السياسة وهو لا يزال بدائياً، خذوا مثلاً إنسان لديه مستوى ثقافي وجامعي معيّن، طبيب على سبيل المثال، فهل هو يعرف في الجغرافيا السياسية مثلاً أو الجغرافيا الاستراتيجية؟ فكيف يريد أن يعطي تفسيراً لما هو ليس من اختصاصه؟ هذا العصر هو عصر الاختصاصات والدراسات والعلوم. ويجب على حملة الشهادات، الذين يريدون تعاطي الشأن العام، أن يتثقفوا سياسياً، لا أن يتعاطوه بمستوى الإنسان الجاهل الذي يقبل كل شيء بشعوره فقط أو بوقائع مضللة لأنه خاضع لعملية تضليل إعلامي، يجب توعية حس النقد، والعقلية المنفتحة التي تسمع وتصغي وتحصل في جميع الميادين.

سألت مرة أحد زوّاري وكان كاهناً، عمّا تعلّموه في المدرسة الإكليريكية من علوم سياسية، فأجابني: "لا شيء، ندرس لاهوت والديانة المسيحية ونتخرّج" فسألته: "إذا أردت أن تصبح مطراناً هل تتلقّى تعليمياً إضافياً فيه شيء من السياسة؟" فأجابني بلا، فقلت له: "إذاً، إذا صرت مطراناً ثم بطركاً فيما بعد فلن تكون قد تعلّمت في دراستك أي شيء من علوم السياسة؟" فأجابني أيضاً بلا.

فخذوا العبرة أنتم من هذه الأسئلة ومن الإجابات عليها، وأعتقد أنكم على مستوى كافٍ من النضج كي تدينوا في مختلف القطاعات من يتناول على السياسة وهو جاهل لها، ويتحولون مع ذلك إلى سلطة معنوية في المجتمع وينقادون للأسف.

لا يملك الجميع روحاً قيادية، ولا الثقافة الكافية التي تسمح لهم بإبداء رأيهم واتخاذ موقفٍ يجرّ الناس معهم. وما يجب أن تعرفوه أيضاً بأن معظم السياسيين "يسبون" الطائف، البعض يقولون بأنه كان خدعة، وغيرهم يقول بأنه كان فاسداً، وآخرون يقولون "جرّونا إليه"، ولكن هل من أحد من هؤلاء أقرّ بأحقية موقفنا، الذي

اتخذناه كختيار، من الطائف؟ هل من أحد من "زعران" السياسة، الوزراء والنواب، كانت لديه الشجاعة الأدبية، أو التواضع العادي لمرة، وأعطى الحق للموقف الذي اتخذناه وناضلنا من أجله؟ يسبون الطائف ويقولون عنا أننا كنا مجانين، يسبون الطائف وينتقدون الوضع الاقتصادي المهترئ، فلاحظوا أي طبقة من الكاذبين تحكمننا اليوم.

الشعوب كالسوائل، عندما تغلي يتجمع على سطحها إما "الكمخة" وإما "الكريما"، وهذه الأيام ما يطفو على السطح عندنا هو "الزفرة"، وبدها كبّ."

لا تعتقدوا أبداً أن مستقبلكم السياسي، ومستقبل لبنان، هو من خلال الطبقة السياسية الموجودة حالياً، فلائل جداً هم الذين سيبقون منها لأنهم جميعاً سقطوا في الامتحان، جميعهم انحوا، ليس فقط بشجاعتهم الأدبية، بل بشجاعتهم الجسدية أيضاً. هم يفتقدون إلى الحس الفكري والوطني، وحتى إلى الحس الإنساني الذي يسمح لهم بمشاركتم. هم أناس يبحثون عن أدوار، ومن يكون بحثه عن دور أهم لديه من المحافظة على القضية الوطنية فهو ليس بصالح كي يكون في الحياة العامة.

شبابنا الطالع اليوم، هم ثروة لبنان الحقيقية، رغم أن الكثيرين منهم يهاجرون، وأعتقد أنهم يهاجرون بسبب الحاجة أكثر منه بسبب اليأس، فنحن لا نياس، إذ طالما أن الإنسان على قيد الحياة ولديه فكر ويجاهد، فلا يجب عليه أن يياس لأن اليأس هو الموت.

لذلك أقول أن من هاجر هاجر بسبب الحاجة، وعند عودتهم القريبة إن شاء الله إلى لبنان سيكونون جزءاً من الثروة اللبنانية التي حافظت على مستوى عالٍ من التكنولوجيا والعلوم التي حصلوها في الخارج.

ونحن قادرون عند تغيير الأوضاع على بناء وطن بكل معنى الكلمة، وطن فيه الحرية وفيه الرغيف، فيه نحن وفيه الآخر الذي يختلف عنا، فعقدة الآخر ليست موجودة لدينا، وطن يحترم حرية المعتقد وحرية الضمير وحرية الفكر، وطن فيه شعب يبني ذاته بثبات مع نفسه ومع الآخرين، لا يوجد فيع عصابات مافيوية تصفّي بعضها وتسرق المجتمع والدولة وتهدم الكيان وتهدم مؤسسات الدولة، وتشكل الغطاء لدولة محتلة مصنفة إرهابية.

ألمي بكم كبير أن تكملوا الطريق الصحيح، ولا يعتقد الفرد منكم بأنه قادر بمفرده أن يقوم بشيء، التقاؤكم وتجمعكم فقط سيشكلان قوة التغيير.

وسأختم بهذه الخبرية الصغيرة، منذ مدة زارتنى مجموعة من الطلاب اللبنانيين في فرنسا وكان عددهم كبيراً، وكانت انتماءاتهم متعددة من تيار إلى قوات إلى من يسمون أنفسهم مستقلين، بادرتهم بكلام اعتبره بعضهم قاس بعض الشيء، ولكنهم ما لبثوا أن فهموه وقبلوه، قلت لهم بأن المستقل هو شخص أناني يفتش عن دور لذاته، والأبشع منه هو من يصف نفسه بالماحيد، neutre، المستقل والمحايد يشبهان البيوت المعروضة للإيجار، لم يؤجروا ذاتهم لا لقضية ولا لفكرة.

أما أنتم شباب التيار، فأهنتكم لأنكم لستم برسوم الإيجار، أنتم برسوم القضية اللبنانية، ومستقبلكم لكم. عشتم وعاش لبنان.